

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

/صفحة 359 / - لجهالتهم وإهمالهم في التدبر في آيات الربوبية وعدم مخافتهم من سخط ربهم - عن تشریف الخطاب فأعرض عن مخاطبتهم فيما يلقي إليهم من المعارف إلى خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). قوله تعالى: " أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شئ بصير " المراد بكون الطير فوقهم طيرانه في الهواء ، وصفيف الطير بسطه جناحه حال الطيران وقبضه قبض جناحه حاله ، والجمع في " صافات ويقبضن " لكون المراد بالطير استغراق الجنس. وقوله: " ما يمسكهن إلا الرحمن " كالجواب لسؤال مقدر كأن سائلا يسأل فيقول: ما هو المراد بالافات نظرهم إلى صفيف الطير وقبضه فوقهم؟ فاجيب بقوله: " ما يمسكهن إلا الرحمن ". وقرار الطير حال الطيران في الهواء من غير سقوط وإن كان مستندا إلى أسباب طبيعية كقرار الانسان على بسيط الارض والسماك في الماء وسائر الامور الطبيعية المستندة إلى علل طبيعية تنتهي إليه تعالى لكن لما كان بعض الحوادث غير ظاهر السبب للانسان في بادي النظر سهل له إذا نظر إليه أن ينتقل إلى أن الله سبحانه هو السبب الاعلى الذي ينتهي إليه حدوثه ووجوده ، ولذا نبههم الله سبحانه في كلامه بإرجاع نظرهم إليها وداللتهم على وحدانيته في الربوبية. وقد ورد في كلامه تعالى شئ كثير من هذا القبيل كإمسك السماوات بغير عمد وإمسك الارض وحفظ السفن على الماء واختلاف الاثمار والالوان والالسنه وغيرها مما كان سببه الطبيعي القريب خفيا في الجملة يسهل للذهن الساذج الانتقال إلى استناده إليه تعالى ثم إذا تنبه لوجود أسبابه القريبة بنوع من المجاهدة الفكرية وجد الحاجة بعينها في أسبابه حتى تنتهي إليه تعالى وأن إلى ربك المنتهى. قال في الكشف: " فإن قلت: لم قيل: ويقبضن ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لان الاصل في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة هو مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطائر على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهم صافات ويكون منهم القبض تارة كما يكون من السابح. انتهى. وهو مبني على أن تكون الآية هي مجموع قوله: " صافات ويقبضن " وهو الطيران،